لوازم الحب الإلهي

للإمام الشيخ محي الدين بن عربي
المتوفى سنة٦٣٨هـ

تحقيق و تعليق

موفق فوزي الجبر

Ibn al-ʿArabī
Lawāzim al-ḥubb al-ilāhī

لوازم الحب الإلهي

للإمام الشيخ محي الدين بن عربي
المتوفى سنة٦٣٨هـ

تحقيق و تعليق

موفق فوزي الجبر

1998

لوازم الحب الإلهي
للإمام الشيخ محي الدين بن عربي
تحقيق وتعليق: موفق فوزي الجبر
الطبعة الأولى ١٩٩٨/ ١٠٠٠ نسخة

التنضيد والإخراج الفني: بنان قسطنطين

دار معد للطباعة والنشر والتوزيع
سورية – دمشق – ✉ ١٠٨٧٧ – ☎ ٦٣٣٤٠١٠

دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع
سورية – دمشق – ✉ ٥١٧٥ – ☎ ٢٢٢٦٢٠٧

إهداء

إلى من كانا لازمة من لوازم حبيّ، ولديّ

عبد الله والمعتصم بالله

م. ف. الجبر

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

قال محي الدين بن عربي:

«الحبُّ مَقامٌ إلهيٌّ، وصفَ الحقُّ تَعَالى بِهِ نَفسَه».

وقال أيضاً:

الحـــبُّ ذَوقٌ و لا تُـــدرى حقـــيقتَه
أَلَيـــسَ ذا عَجـــَب واللـــهُ واللـــهُ
لـــوازمُ الحـــبِّ تكســـوني هويتـــها
ثـوب النقيضـين مِثـلَ الحـاضر السَّـاهي
بـالحبِّ صـحَّ وجـوب الحـقّ حيـث يـرى
فـــينا وفـــيه وَ لَســـنَا عَـــين أشـــباه

وقال أيضا:

النـــارُ تُضـــرمُ في قلبـــي وفي كبـــدي
شَـوْقاً إلى نُـــورِ ذات الوَاحـــدِ الصمـــدِ
جَـادَ الإلــه بِــهِ في الحــالِ فارتســمت
حقيقــة غيبَّــت عقلــي عـــن الجســدِ
فصـــرت أشـــهده في كـــلِّ نازلـــةٍ
عنايـــة منـــه في الأدنـــى وفي البُعـــدِ

مقدمة التحقيق

نحمد الله ونشكره، ونستغفره، ونستهديه، ونصلي على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

إن الحب الإلهي، أو ما يسمى الغزل الإلهي موضوع شائك، وهو يحمل في طياته رمزاً صوفياً خالصاً، والحب عند العشاق هو الوصال المتين الذي يربط بين قلبين. وهو حج تحج إليه قلوب الناس، وكعبة تطوف بها أسرار القلوب.

فالحب إذن عبارة عن نسمة تهب في قلب العاشق الولهان، وأعظم حبّ في الدنيا هو حبّ الله ورسوله، وقد قال أبو حامد الغزلي المتوفى سنة ٥٠٥هـ:

«إذا قيل لك أتحب الله ورسوله فاسكت، فإنك إذا قلت: لا! كفرت. وإن قلت: نعم!! طولبت بالدليل».

فهذا الكتاب جمع فيه الشيخ الأكبر ابن عربي لوازم المحبة

الإلهية، وقد وضع فيه بعض الشذرات من لوازم الحب الخالص الدنيوي.

فالحب مقام إلهي وصف الحق تعالى به نفسه وتسمى بالورود، فحب الله عبادة لا يتصف بالبدء ولا بالغاية من وجه، فإنه لا يقبل العوارض و لا الحوادث، لكن عين محبته لعباده عين مبدأ كونهم متقدميهم ومتأخريهم إلى مالا نهاية له، ونسبة حب الله لهم نسبة كينونته معهم أينما كانوا في حال عدمهم ووجودهم.

إن الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة. فلا تتعلق المحبة إلا بمعدوم غير موجود في حين التعلق يريد المحب وجود ذلك المحبوب أو وقوعه، فإذا عانقت شخصاً نتيجة محبة أو بمجالسته فإن متعلق حبك في تلك الحال ما هو بالحاصل، وإنما هو بدوام الحاصل و استمراره. فالدوام و الاستمرار معدوم ما دخل في الوجود، و لا تتناهى مدته.

وقد ورد عن بعض الصوفيين أن للحب سببين الجمال والإحسان، و هذا مصداق قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

فنبهنا أنه جميل أي يجب أن نحبه، وعذر المحبين في ذلك لأن

(1) أخرجه مسلم.

المحب لا يرى محبوبه إلا أجمل العالم في نظره، فما أحب إلا ما هو جميل. أما الإحسان فإن العباد يحبون إحسان الله، ولا محسن إلا الله، فإذا أحببت إلا الله.

أما عملي فكان كالتالي:

- ضبط النص ضبطاً سليماً.
- إفراد كل لازمة من اللوازم بافتتاحية خاصة والتعليق عليها.
- عزّو نقول المؤلف إلى مصادرها.
- تخريج الآيات الكريمة.
- تخريج الأحاديث الشريفة.
- وضعت ترجمة وافية للإمام محي الدين بن عربي ليتعرف القارئ على هذا العالم الجهبذ.

اسأل اللّه التوفيق و الخير في كلّ شيء، وهو حسبي ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

دمشق:

٥ ربيع الأول١٤١٨هـ — موفق فوزي الجبر

١٠يوليو (تموز) ١٩٩٧م — أبو عبد اللّه

مصادر ترجمة الإمام محي الدين بن عربي
(٥٦٠-٦٣٨هـ) (١١٦٥-١٢٤٠م)

[١] فوات الوفيات، للصفدي: ٢/٢٤١.

[٢] جذوة الاقتباس، لابن القاضي:١٧٥.

[٣] مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده: ١/١٨٧.

[٤] ميزان الاعتدال، للذهبي: ٣/١٠٨.

[٥] عنوان الدراية، لابن الغبريني: ٩٧.

[٦] لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني: ١/٣١١.

[٧] جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني: ١/١١٨.

[٨] نفح الطيب، للمقري: ١/٤٠٤.

[٩] شذارات الذهب، لابن العماد الحنبلي: ٥/١٩٠.

[١٠] آداب اللغة، جرجي زيدان: ٣/١٠٠.

[١١] مرآة الجنان، لليافعي: ٤/١٠٠.

[١٢] التكملة، لإبن الآبار: ١/٣٥٦.

السيرة الذاتية لمحي الدين بن عربي

• مولده ونشأته:

ولد الشيخ ابن عربي ليلة الاثنين من شهر رمضان سنة ستين وخمسمائه في (مُرسِيّة) من شرق الأندلس في حكم السلطان محمد بن مرديس وفي خلافة المستنجد باللّه يوسف بن محمد، ويُكنى أبا المظفر.

انتقل الشيخ مع أبيه من مرسّية إلى اشبيليا سنة ثمان وستين وخمسمائة و عاصر بالأندلس خلافة المستغني باللّه الحسن بن يوسف ثم خلافة الناصر لدين اللّه أبي العباس.

كان محباً لأهل اللّه وأوليائه من عباد اللّه الصالحين، يدافع عنهم في المجالس، ويشد الرحال إليهم مهما بَعُد السفر بغية الاجتماع بهم.

• نسبه:

ينتسب من جهة أبيه إلى عبد اللّه بن حاتم أخي عدي بن حاتم الصحابي ﵁، ومن جهة أمه التي تدعى نور إلى التابعي أبي مسلم

الخولاني، وقد صرّح ذلك بشعره، حيث يقول:

إنــي لمــن أصــل أجــواد ذوي حســب
العــم مــن طــيٍّءٍ والخــال خولانــي

ويقول أيضاً:

إنـــــي ابـــــن حـــــاتم
بيــــت الســـماح والكـــرم
فكـــم لنـــا مـــآثر
منصوبـــة مثـــل العلـــم

• تلاميذه و تلميذاته:

١ - عبد الله بدر الحبشي:

أبي المغانم بن أبي الفتوح الحراني، صحبه بإشبيليا سنة ثمانين وخمسمائة للهجرة، وخدم الشيخ بمدينة (فاس) وألّف الشيخ له كتاب (مواقع النجوم) سنة خمس وتسعين وخمسمائه.

يقول الشيخ:

ووهبنـــا مـــا وهبنـــا
ســـر بـــدر الحبشـــي

وبعثنـــــــــــا رســــــــــــولاً
لـــــــــلرئيس الندســـــــــــي

بكتـــــــــاب رقمتـــــــــــه
كـــــــف ذات الحكمـــــــــــي

بعلـــــــــــوم وســـــــــــمتها
موقـــــــع النجـــــــم العلـــــــي

كما وألَّف له كتاب (حلية الإبدال) سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وكتب له وللشيخ عبد العزيز القرشي كتاب (الفتوحات الملكية) وشرح له ولابن سودكين كتاب (ترجمان الأشواق).

مات عبد اللّه بن بدر الحبشي في حياة الشيخ.

٢- إسماعيل بن سودكين النوري:

شرح له كتابي (الإسراء) و (المشاهد).

وقال الشيخ يخاطبه:

رعـــاك اللّـــه مـــن شـــخص تعـــالى
عـــن الأمثـــال بـــالنعت العلـــيّ

صـــــدوق الوعـــــد أنزلـــــه كتابـــــاً
فإســـــماعيل ذو الخلـــــق الرضـــــيِّ

مات إسماعيل بن سودكين سنة ست وأربعين وستمائة.

أما تلميذاته، فهي:

١ – أم محمد:

يقول فيها:

ألبســـــــــت أم محمـــــــــــــد
ثـــــوب التصـــــوف معلمـــــاً

٢– دُنْيا:

يقول فيها:

ألبســـــــت بنتـــــــي دُنيـــــــا
لبـــــاس ديـــــــن وتقـــــــوى

٣– بنت زكي الدين:

يقول فيها:

ألبســـت بنـــت زكـــي الديـــن خرقتنـــا
مـــن بعـــد صحبتهـــا إيـــاّي بـــالأدب

٤- زينب:

يقول فيها:

ألبســت زينــب ثــوب الفضــل والديــن

مــن يدمــن هــو مســكين ابــن مســكين

٥- زمرد:

يقول فيها:

ســـــــــألتنا زمـــــــــــرد

تلبـــــس الخرقـــــــة التـــــــي

٦- ست العابدين:

يقول فيها:

ألبســـــت ســـــت العـــــابدين

خرقـــــــة التصـــــــــــوف

٧- ست العيش:

يقول فيها:

ألبســت ســت العيــش مثــل الــذي

ألبســـني أهـــل التقـــى والســـماح

• معاصروه:

* الإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي.
* الإمام شيخ الإسلام، عز الدين بن عبد السلام.
* شهاب الدين عمر بن محمد السهر وردي.
* الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي.
* الشيخ كمال الدين الزملكاوي.
* قاضي القضاة المالكية زين الدين الزواوي.
* الإمام القاسم بن الحافظ بن عساكر.

• مكانته العلمية وشيوخه:

قرأ القرآن وهو في السابعة من عمره، وسمع كثيراً من كتب الحديث والفقه على الشيوخ:

- أبو بكر، محمد بن خلف بن صاف اللخمي، قرأ عليه القرآن بالقراءات السبع وكتاب الكافي في القراءات.
- أبو القاسم، عبد الرحمن بن غالب الشراط، قرأ عليه القرآن الكريم.
- القاضي أبو محمد، عبد الله الباذلي قاضي مدينة فاس، قرأ عليه مذاهب القراء السبعة من كتاب (التبصرة).

- أبو بكر، محمد بن أحمد أبي حمزة، قرأ عليه كتاب (التيسير).
- القاضي أبو عبد اللّه محمد بن سعيد بن دربون، سمع عنه كتاب (اليقعي).
- المحدِّث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد اللّه الأزدي الإشبيلي، سمع عنه الحديث
- عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمع منه صحيح مسلم.
- يونس بن يحيى بن أبي الحسين العباسي الهاشمي، سمع منه صحيح البخاري.
- أبو شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني، سمع منه كتاب الترمذي.
- نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري، سمع منه كتاب السنن لأبي داود.
- وغيرهم الكثير ذكرنا بعضهم على سبيل التذكير لا الحصر.

• رحلاته وتنقلاته:

- أقام بإشبيليا من سنة ٥٦٨إلى٥٧٨هـ
- قرطبة سنة ٥٨٠هـ
- عاد إلى إشبيليا سنة ٥٨٠هـ
- مرشانة الزيتون سنة ٥٨٦هـ

- سبتة، سنة٥٨٩هـ

- جزيرة طريف، سنة ٥٨٩إلى٥٩٠هـ

- تلمسان، سنة ٥٩٠هـ

- تونس، سنة ٥٩٠هـ

- عودته إلى فاس، سنة ٥٩١هـ

- عودته إلى إشبيليا، سنة ٥٩٢هـ

- مورور، سنة ٥٩٣هـ

- عودته إلى فاس و سبتة، سنة٥٩٣إلى٥٩٤هـ

- عودته إلى المرية، سنة٥٩٥هـ

- غرناطة، سنة٥٩٥هـ

- مرسية، سنة٥٩٥هـ

- رحلته إلى تونس مرة ثانية، سنة٥٩٥هـ

- مراكش، سنة ٥٩٧هـ

- عودته إلى مرسية، سنة ٥٩٨هـ.

- سلا، سنة ٥٩٨هـ

- عودته إلى مرشانة، سنة٥٩٨هـ

- الدار البيضاء، سنة٥٩٨هـ

- القدس فالمدينة المنورة ووصل مكة وجاور بها، سنة ٥٩٨ إلى ٦٠٠هـ
- بغداد والموصل، سنة ٦٠١هـ
- الخليل، سنة ٦٠٢هـ
- القاهرة، سنة ٦٠٣هـ
- حلب، سنة ٦٠٦هـ
- عودته إلى بغداد، سنة٦٠٨هـ
- عودته إلى حلب، سنة٦١٠هـ
- عودته إلى مكة، سنة ٦١١هـ
- قونية، سنة ٦١٢هـ
- سيواس، سنة٦١٢هـ
- عودته إلى حلب، سنة ٦١٧هـ
- دمشق، سنة ٦٢٠هـ
- عودته إلى حلب، سنة ٦٢٨هـ
- عودته إلى دمشق واستقراره فيها، سنة ٦٢٩حتى وفاته، سنة ٦٣٨هـ.

• شعره:

كان للإمام الشيخ محي الدين بن عربي شعر جيد جلّه في التصوف والحِكَم والدعاء. من شعره:

يقول في مرضه:

تـوالى علـيّ اليبـس مـن كـل جـانب
وأقلقنـي طـول التفكـير والسـهر

وأزعجنـي داعـي الـمنية للبلـي
وأذهلنـي عمـا يجـلّ ويحتقـر

وقـوّى فـؤادي حسـن ظنـي بخـالقي
وأضعـف منـي قـوة السـمع والبصـر

وإن مـرادي حيـل بيـني وبينـه
بـردي كمـا يتلـى إلـى أرذل العمـر

فنـادى بروحـي للـبرازخ والتـوى
ينـادي بجسـمي للمقـابر والحفـر

فهـذا حبيـس القـبر في مـنزل البلـى
وهـذا حبيـس الصـور في بـرزخ الصـور

فمــا أعــذب الطعــم الــذي قــد طعمتــه

مــن الظــن بــالرب الجمــيل لــمن نظــر

ومــا أقطــع الطعــم الــذي قــد طعمتــه

مــن العلــم باللّــه المريــد و مــا أمــر

عنــاية مــختار عليــم منبّــأ

وجئــت كمـا قـد جـاء موســى علـى قـدر

وقال الشيخ يناجي ربّه:

إلهــــي لا تؤاخذنــــي

علــى مــا كــان مــن زللــي

لا تنظــــر إلى فعلــــي

فـــإني ســـيء العـــملِ

ومـــالي غـــير حســـن الظـــن

يـــا ثقتـــي ويـــا أملـــي

ومن قوله:

اجعـــل يديـــك علـــى الكبـــد

تجـــد الـــذي منكـــم أجـــد

وابـــــرح إلى طلـــــب الوصــــــال

وقــــــل لــــــــه هبنـــــــي وزد

نـــــولا وجـــــود العلـــــم فيــــــ

ـــــه مـــــا تذكـــــر مـــــن عبـــــد

فــــإن أنكـــــروا هـــــذا فقـــــل

إن القــــــــــرآن بــــــــــذا ورد

يقول:

ألا إننـــــي مـــــولى لمـــــن أنـــــا عبـــــده

فــــأنصره عـــــن أمـــــره وأنـــــاضل

وإن ســـــهامي لا تطيـــــش وإنهـــــا

تصيـــــب إذا التفـــــت علـــــيّ القبـــــائل

يقول الشيخ في المعراج:

ألـــم تـــر أن اللّـــه أســـرى بعبـــده

مـــن الحـــرم الأدنـــى إلى المســـجد الأقصـــى

إلى أن عـــلا الســـبع الســـموات قـــاصداً

إلى بيـــته المعـــمور بالـــملأ الأعلـــى

إلى السـدرة العليـا وكرسـيه الأحمـى
إلى عرشـه الأسـنى إلى المسـتوى الأزهـى
إلى سـبحات الوجـه حـين تقشـعت
سـحاب العمـى عـن مقلتـه النجـلا

ويقول ابن عربي في تلميذته شرف:

سـألتنا شـرف نلـبسها
خرقـة القـوم علـى شـرط الوفـا
حـين تـابت عندنـا مـن كـل مـا
كـان منـها قبـل هـذا سـلفا
فأجبناهـا إلى مـا سـألت
باعتقـاد ووداد وصفـا
وأمرناهـا بـأن تلبسـها
كـل مـن كـان بخـير عرفـا

ويقول في تلميذته فاطمة:

ثـوب التقـى والهـدى ألبسـت فاطمـة
ومـا أرى للبـاس الخـير مـن عـوض

ألبستها خرقة عليا جامعة

تزيل عن قلبها ما فيه من مرض

جمعت واللّه في إلباس ما لبست

فهي من الخير بين الذات والعرض

قد كان لي غرض في أن تكون لنا

بنتا وربي فيها قد قضى غرضي

فلنشكر اللّه لا أرجو سواه لها

على الذي قدّر الرحمن حين رضي

ويقول في مدح تلميذه عبد اللّه بن بدر الحبشي:

ألبست بدراً حزيقة الخلق

لما حكى نوره دُجى الغسق

وقلت يا بدر لا كُسِفْت ولا

عدلت يوماً عن أحسن الطرق

ألبستكَ الزهد والصيانة إذ

جردت ثوب المجون والعلق

وله في مدحه أيضاً:

أحـــب لحبـــك الحبشـــان طـــراً
وأعشـــق لاســـمك البـــدر المنـــيرا

ويقول وهو يُنزلُ ابنته زينب في اللحد:

لحـــــدت بنتــــي بيــــدي
لأنهـــــا ذو جســــــدي
أنـــا علــــى حكــــم النـــوى
فليــــس شـــــيء بيــــدي
مقيـــــــــد في وقتنـــــــــا
مـــــا بـــين أمـــس وغـــد

ويقول يفتخر بنفسه:

إن المكـــارم مـــن خلقـــي ومـــن شـــيمي
فقـــد وســـعت الـــورى جـــوداً بـــأخلاقي
لـــو أن لـــي كـــل مـــا تحـــوي خزائنـــه
لمـــا وفـــت بـــالذي عنـــدي مـــن أرزاقِ
إنـــي فُطـــرت علـــى أخـــلاق خالقنـــا
و الأمـــر مـــا بـــين مـــرزوق ورزّاقِ

ويقول أيضاً:

لنـــا همـــة إن الثـــريا لدونهـــا
نعـم ولنـــا فـــوق الســـماكين مـــنزلٌ

تقدمـــت ســـبقاً في المكـــارم و العُلـــى
وفي كـــل مـــا يُنكـــي العـــدا أنـــا أوَّلٌ

لـــم ألـــف صمصامـــاً بقـــدر عزيمتـــي
ولـــو جمعـــوا الأســـياف عزمـــي أفضـــلٌ

وله أيضاً:

إنـــي لمـــن خـــير آبـــاءٍ لنـــا ســـلفوا
لـــم يُعْرفـــوا قـــطٌّ بالإمســـاك والبخـــلِ

إنـــي ورثـــت الـــذي في النفـــس مـــن كـــرم
عـــن الجـــدود وعـــن أســـلافنا الأُوَلِ

• آثاره و تصانيفه:

* الفتوحات المكية، مطبوع.
* فصوص الحكم.
* مفاتيح الغيب.
* ترجمان الأشواق.

* جامع الأحكام.
* محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.
* شرح أسماء الله الحسنى.
* عقيدة أهل السنة.
* أسرار الخلوة.
* شعب الإيمان.
* رسائل ابن عربي، بتحقيق:موفق فوزي الجبر.

نذكر منها:

- كتاب الفناء
- رسالة الانتصار
- كتاب القربة
- رسالة إلى الشيخ إسماعيل بن سودكين
- كتاب الانتصار
- القسم الإلهي بالاسم الرباني
- كتاب الواو والنون والميم
- إشارات الإلهام
- كتاب الأزل

- كتاب الأنوار
- مقام الأسرى
- كتاب الشاهد
- كتاب الأسفار
- كتاب الوصايا
- كتاب التجليات
- كتاب المسائل
- كتاب اصطلاح الصوفية

• وفاته:

توفي الإمام محي الدين بن عربي في دمشق بليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة النبوية، ودفن بسفح جبل قاسيون، وقبره مزار، يؤمه كثير من الخلق إلى الآن.

عليه الرحمة وعلى جميع أموات المسلمين، آمين.

مقدمة المؤلِّف

الحمد لله، والصلاة على رسول الله. والحمد لله الذي جعل الهوى حرماً تحجُ إليه قلوب الأدباء وكعبة تطوف بها أسرار الباب الظرفاء، وجعل الفراق أَمَرُّ كأس تذاق، وجعل التلاق عذب الجني طيب المذاق، تجلى اسمه الجميل سبحانه فألهى الألباب، فلما غرقت في بحر حبه أغلق دونها الباب، وأمر أجناد الهوى أن يضربوها بسيوف النوى، فما طاشت العقول وقيدها الثقيل، ودعاها داعي الاشتياق، وحركتها دواعي الأشواق.

أما بعد:

هذه شذرات[1] في لوازم الحب الإلهي مسرودة على حروف المعجم.

---

[1] وردت في الأصل «هدرات»

[١] الأدب:

إن مشاهدة المحبوب هي البغية، وهي أعز موجود، وأصعب مفقود وعليك آداب في المشاهدة لها علامات، مثل الثبات وعدم الالتفات والخشوع و الإقناع والخضوع و الارتياع..

والمحب لا يستدبر جهة محبوبه أبداً وأدباً وعشقاً.

لهذا قال أبو فراس الحمداني:

الحب آمره والصون زاجره
والصبر أو ما يأتي وآخره
إن الفتى إن صبا أو شفه غزل
فللعفاف وللتقوى مآزره
وأشرف الناس أهل الحب منزلة
وأشرف الحب ما عفت سرائره[١]

---

[١] الأبيات من قصيدة مطلعها:

كيف السبيل إلى طيف بزاوره ... والنوم في جملة الأحباب هاجرهُ؟
ما بال ليلي لا تسري كواكبه ... وطيف عزَّه لا يعتاد زائره
إن الحبيب الذي هام الفؤاد به ... ينام عن طول ليلٍ أنت ساهره

ينظر: (ديوان أبي فراس الحمداني، دار الحياة.بيروت لبنان ص: ٢١).

[٢] الاهتضام:

يورث التواضع.

يروى عن الخليفة العباسي المأمون أنه قال:

إن الهوان هو الهوى قُلِب أسمه
فإنه هويت لقد لقيت هوانا
فإذا تعبدك الهوى فاخضع له
وأسجد لإلفك كائناً من كانا

[٣] الإستلطاف والاستعطاف:

المحب منه النصرة والإيمان واللطافة، استعطافاً لرضي المحبوب واستلطافاً به. والمحبوب إذا لم يكن محباً في نفس الوقت له البُعد والقهر والمحب إذا داخل حاله الاعتلال، والعقل قد مازجه الخيال، تذكرت النفس أياماً سلفت، فهامت فتلفت، يستعطف المحبوب بأن يرد الّله عليه شباب تلك الأيام والليال، ويقر عينيه بالتنزه في محاسن ذلك الجمال،ياطول حزنه على الفوت، وياشرّ حياته إن لم يره قبل الموت. ياقلباً على جمر الغضا، أترى يعود إليك محبوبك بالرضى، يانفس غرقت في بحر الأسى، تعللي بذكره لعل وعسى، فربما يمسي عندك معرسا، يانظرة زودتنيها ليتها ماكانت، ياحسرة أورثتنيها ليتها

لو زالت، ورد الفال الذي هو لسان الزمان، أنّ آن الوصال قد آن، وقد جاءت الرواحل بالبشائر وانتظمت القبائل والعشائر.

ألا تصغين لشرح حالي معك، لا قلاك ربي و لا ودعك، لم أزل منك في كل لحظة وآن، في وصف إلهي كل يوم هو في شان، سنفرغ لكم أيها الثقلان[1]، كلما ظهرت منك آية أعقبتها عمايه، ومتى تحققت منك صفاء تلاه كدر، كيف يبقى جسم قد أنضجت كبده حرارة الأشواق، وغشيت عيناه حذر الفراق في أيام التلاق والعناق.

إن باح خاف من الوشاة، وإن كتم هلك بتوالي الحسرات والزفرات فلا أدري والله في أي واد أهيم، ولا على أي حاله أحوم، كلما باسطتك انقبضت، وكلما أقبلت عليك أعرضت، أطلب أبلغ رضاك، ولا انظر لجهلي بقضاك، أموري كلها بالبلايا معروفة، وعلى الرزايا موقوفة.

ها أنا ماثل بين يديك، ناظر بعين الذل والمسكنة إليك، حيران لا دين لي، ولهان لا عقل لي، مبهوت بلا نفس عين تجود، وحزن شديد، لا يُبلى ولا يبيد،وأخ غير مساعد ولا موافق، وليل لا صبح له ولا مرافق.

---

(1) اقتباس من سورة الرحمن.

[٤] الأنفاس:

يحصل من سطوات هيبة التجلي الذي هو الجمال،وقيل: ليس الطيب إلا أنفاس الأحبة، لولا أعرافهم ما فاح المسك لمستنشق.

[٥] الاصطلام:[1]

المحبوب معتوب، والمحب منهوب، والقلب مصطلم، والنار في الجوانح تضطرم، لذا قلنا: الاصطلام نار لها اضطرام، إلا أنه تطفئها بتواليها الأنواء فتلحقها بالرغام فلذلك حكمنا بالاصطلام على المنعوت بين المحبين بالغرام.

فالاصطلام نار ترد على قلوب المحبين تحرق كل شيء تجده سوى المحب، وقد تذهب في أوقات بصورة المحبوب في نفس المحب، وهو الوقت الذي يطلب المحب أن يتخيل محبوبه، فلا يقدر على تخليه، و لا يقيم صورته لقوة سلطان حرقة لهيب نار المحبة فيقال عنه: مصطلح كقول الشاعر:

أودع فؤادي حرقا أودع
ذاتك تو ذي أنت في أضلعي

---

[1] قال الكاشاني: «الاصطلام هو الوله الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمان».
ينظر: (اصطلاحات الصوفية، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دار الحكمة، ص: ١٥).

موقعهـــــا القلــــب وأنـــــت الـــــذي
تسكــــــنه بـــــــذلك الموضـــــع

ومن هـذه الحـال مـا جـرى لقيـس بـن الملـوح مجنـون بنـي عـامر صاحب ليلى، وكـان قـد جاءتـه ليلـى، وهـو مصطلـم يـأخذ الجليـد ويلقيه على صدره فيذيبه من ساعته حرارة الفؤاد، وهـو يصيـح ليلـى ليلى طلباً لها لفقد صورتها في خياله، فنادته يا قيس أنا مطلوبـك أنـا ليلى، فلما سمع اسمها قال لها:

«إليك عني فإن حبك شغلني عنك»

فهذا هو حال الاصطلام الملازم.

[٦] البث:

هو تلك الهموم المتفرقة من أجل الصـور الكثيرة التـي يقـع فيهـا تجلـي محبوبـه، والمحبـة المفرطـة إذا مدّهـا البـث. فـالبث إذا صاحبـه التوقان، والتوقان إذا خالطه الهيمان، و الهيمان إذا مازجه الارتيـا ع، و الإرتيا ع إذا طمع فخانته الأطماع، يذوب لها الفؤاد، ويذهب لها السواد، ويتصدع لها الجماد، وينفطر لها السبع الشداد، والمحبة على قدر المحبوب، والطلب على قدر المطلوب. وفي ذلك يقول:

كـــلّ مــــحبوب ســــوى الــــلّه ســــرَفْ

وهمـــــــوم وغمــــــوم وأسَـــــــفْ

كــــلّ محــــــبوب فمنــــه خَـــــلَفْ

ماخـــــلا الرحمــــن مـــا منـــه خـــلفْ

[٧] البكاء والدمع:

قد تجري الدمع للسرور من غير بكـاء، و لا يكـون البكـاء إلا مع الحزن، فهو دمع،[١] وبكاء الأشباح بدمع لوجود هذا الهيكل.

ولمّا كانت منازل الأحبه يذهب الأنس بها لذهـاب المحبوبين، إذ لا وجود لها مـن كونهـا منـازل إلا بهـم، فإنهـا تخـرب بعـد رحيـل الأحبه عنها، وخلوها عـن سـاكنيها، فتصبـح أطـلالاً، فيكـون بكـاء المحب بعد فقد الأحبه ورسوم المنازل.

وقد يكون البكاء حالة شوقية للقـاء المحبـوب والظفـر بـالمطلوب وقد يكون من العارف على تقصيره، إذ لا يساعده مركبـه الطبيعـي، أي جسده فيما يريده من الطاعات.

وقد يكون حنينـاً إلى بدايتـه، حيـث ليـس شـيء أعظـم لـذة مـن البداية، فيبكي على عصر البدايات.

---

[١] وردت في الأصل «دفع».

قال ابن الرومي:

بعيني دموع لو جرين بقفرة
لأضحت بقاع الأرض من ملئها وحلا
وفي القلب نار لو تصيب على الورى
لمات جميع الناس واحترقوا كلا[1]

وقال أيضاً:

يا موقد النار يزكيها ويخمدها
برد الشتاء بأرياح وأمطارِ
قم فاصطلي النار من قلبي مضرّمة
بالشوق تغن بها يا موقد النارِ[2]

وللشيخ:

رعى الّله طيراً على بانه
قد أفصح لي من صحيح الخبر
فسرت وفي القلب من أجلهم
جحيم لبنيهمُ تستعر

---

[1] ينظر: (ديوانه: ٢٤٥).

[2] ينظر: (ديوانه:١٩٥).

ومـالـــــي دلـيــــل عـــــلي إثــــرهم

سـوى نفـس مــن هــواه عــطـــر

فلــين الغصـــون للـــين الــقـــدود

وورد الـــــرياض الـــخفـــــر

[٨] البوح و الإفشاء و الإعلان:

يكون عند فقد الصبر بما تنطوي عليه الضلوع، فالمحب عندما يفقد كل ما كان يشهده من صور التجلي الجمـالي يسكب الدمع، ويشكو حرقة الشوق الذي بفؤاده مما حلّ به فلا يقدر على الكتمـان والصبر، ويظهر فيه سلطان الوجد والإفشاء و الإعـلان فتأبى الدمع بانسكابها إلا الإفشاء والبوح، فإن الوجد أملك، هـو أبلـغ في المحبـة من الكتمان، فإن صاحب الكتمـان لـه سـلطان على الحب، البائح يغلب عليه سلطان الحب، فهو أعشق.

قال قائل:

بـــاح مجنـــون عــــامر بهـــواه

وكتمــت الهــوى فمــت بوجـــودي

فـــإذا كـــان فـــي القــيامة نــُودي

مــن قتيــل الهــوى تقدمــت وحــدي

فالقائل لم يتمكن منه الحب تمكن من لم يترك فيه سلطاناً لغيره، فإن الذي حجب الحب عن ظهور سلطانه أقوى منه، فكان أغلب عليه، و لا خير في حب يدبر بالعقل.

[٩] الجوى:

هو الإنفساح في مقامات المحبة لأنه على الحقيقة مأخوذ من الجو.

يقول قيس بن الملوح:

وما سرني أني خلي من الهوى
على أن لي ما بين شرقٍ إلى غربِ
فهذا دعائي كل يوم وليلة
بطول الليالي أو أغيَّب في الترابِ
ولا خير في حب بغير بليّة
ولا خير فيمن لم يمت من جوى الحبِ[١]

[١] ينظر (ديوانه: ١٤٥).

[١٠] الحب:[1]

الحب هو خلوص الهوى إلى القلب وصفاؤه عن كدرت العوارض، فلا غرض لمحب ولا إرادة مع محبوبه، فإذا خلص الهوى في تعلقه بسبيل اللّه دون سائر السبل، وتخلص له وصفاً من كدورات الشركاء في السبل، سمي حباً لصفائه وخلوصه، ومنه سمي الحب الذي يجعل فيه الماء حباً لكون الماء يصفو فيه ويروق، وينزل كدره إلى قعره، وكذلك الحب إلى المخلوقين إذا تعلق بجناب الحق، وتخلص له من علاقته بالأنداد الذين جعلها المشركون شركاء له في الألوهيه.

ويرى بعضهم أن الحب ما ثبت، وكل حب يزول فليس بحب أو يتغير فليس بحب، لأن سلطان الحب أعظم من أن يزيله شيء، حتى أن الغفلة التي هي أعظم سلطان تحكم على الإنسان لايتمكن لها أن تزيل الحب من المحب يتمكن عند القائل أن يغفل الإنسان عن نفسه بمحبوبه، ولايتمكن للمحب أن يغفل بأحد عن محبوبه، فذلك هو المحب، وذلك هو الحب:

يقول بعضهم:

---

[1] قال الكاشاني:

«هو الابتهاج بشود الحق وتعلق القلب به معرضاً عن الخلق معتكفاً عن المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى سواه»

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ١٨١)

فـــداء المحـــب بمـــا لا يـــزول

وإن الشـــفاء لـــه مســـتحيل

فـــلا تركنـــنَّ إلى غـــير ذا

ولا تصغـــينَّ إلى مـــا يـــقول

فبحب الّله أحبننا الّله، وحب الحق لا يتغير فحب الكون لا يتغير، فقيل له:

فحب الكون الكون هل يتغير؟

قال:لا. لأن الكون محبوب لذاته، والمحبة الذاتية لا يمكن زوالها.

فقيل له: فقد رأينا من تستحيل مودته.

فقال: تلك إرادة ما هي محبة، إذ لو كانت محبة ثبتت، ألا تراها تسمى وداً لثبوتها وثبوت حكمها، يقول المحب:[1]

مـا للـــهوى أخـــذ الهـــوى بدمـــي

تحكـــم الحـــب في روحـــي وفي بدنـــي

مـــا حـــل للحـــب أن الحـــب أعدمنـــي

صـــبري وحـــرّم أجفـــاني عـــن الوســـن

---

[1] وردت في الأصل: «الحب».

والحبيب قريب من الحب، لأنه الـذي يتعلـق بـه، لا مـن المحـب، فالحب لا يجول المسافات البعيدة النائيه ولا التنويهات الشريفة التي لا ترتفع أحكامها عن قرب الحب من الحبيـب، والمحـب قـد يكـون لـه القرب من الحبيب، وقد لا يكون، فالحب قريـب مـن المحـب لقيامـه به، وقريب من المحبـوب لتعلقـه بـه، فإنـه لا تعلـق لـه بغـير محبوبـه. والمحب تبع للحب لقيامه به، الحبيب ليـس بتـابع لحـب المحب وإن تعلق به بل هو مع ما يقوم به، فإن قام به حـب المحـب أحبـه، فعـاد المحب حبيبـاً فصـح الطلـب مـن الطرفـين، و لا عـائق إلا كـان مـن خارج أو من محال، أي لا تعطي الحقائق الاتصال، فمن عرف كيـف يحب.

كان شيخنا أبو العباس العريبي يسأل اللّه أن يرزقه شهوة الحب لا الحب، وذلك أن شهوة الحب قرب الحبيب من المحب.

واعلـم أن مشـاهدة المحبـوب، هـي البغيـة والمطلـوب، وهــي أعـز موجود، وأصعب مفقود، وعليك آداب في المشاهدة لها علامات منها، الثبات وعدم الالتفات و الخشوع والإقنـاع، والخضـوع والارتيـاع، مـا أطيب رائحة المحبوب، ما أفرح من جاد عليه دهره بالمطلوب.

[١١] الحيرة:

قد تلتبس صورة المحبوب في خيال[١] المحب فتلتصق بصورة نفسه المتخيلة له، إذا تقاربت الصورتان في خياله تقارباً مفرطاً، وتلتصق به لصوق الهواء بالناظر، يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره، ويضيع ولا ينضبط له للقرب المفرط، فيأخذه لذلك خبال وحيرة ما يأخذ من فقد محبوبه.

ولما كان الهوى يطالب بالشيء، ونقيضه حار[٢] صاحبه وارتبك، فإنه من بعض مطالبه موافقه المحبوب فيما يريده المحبوب، وطلب الاتصال بالمحبوب، فإن أراد الهجر فقد ابتلى المحب صاحب الهوى بالنقيضين أن يكونا محبوبين له، فهذه هي الحيرة التي لزمت الهوى، واتصف بها كلّ من اتصف بالهوى.

كنت مرة أطوف وأقول شعراً وأنا أبكي:

ليت شعري هل دروْا

أي قلب ملكوا؟

---

[١] ساقطة من الأصل.

[٢] وردت في الأصل: «حار».

وفـــــــــــؤادي لـــــــــــــو درى
أي شِـــــــــغْب ســــــــــــلكوا

أتـــــــــــــــراهم سَـــــــــــــلِموا
أم تراهـــــــــــــم هلكـــــــــــــوا؟

حـــــــــــــار أربـــــــــــاب الهـــــــــوى
في الهـــــــــــــوى وارتبكــــــــــــوا

[١٢] الحزن: (٢)

الحزن أصعب المحبة وأشقها، فإنه مأخوذ من الحزن الذي هو الوعر، وهو ينزل بالمحب إذا ارتفع صبره ورحل عنه، فلا تسأل عن شدة ما لقي المحب بعد فراق المحبوب من الوبال، لما غاب شخصه وبقي الخيال، وتذكرت النفس ليال الأنس والاتصال، وقد اشتمل عليها الحزن لذلك أي اشتمال، وخالطها الجنون و الخبال، فهام

---

(٢) قال الكاشاني:

«هو الإحساس عن اليقظة بتألم الباطن الحاصل من الوقوع في ورطة الغفلة التي قبلها بمنافيات الفطرة من كدورات غواشي النشأة، فكأنه قد أصابه الحذر من لؤم الغفلة، فلم يحس بالألم، فأحس به عند زوال الحذر حالة اليقظة».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ١٢٧)

المحب سائحاً في بطون الأوديه وقمم الجبال شوقاً لذلك الجمال، وهيماناً في ذلك الإدلال، كم نور أظلمته سبحاتك، كم روض أذبله وجناتك، كم دم سفكته لحظاتك. يقول بعضهم:

خليلي مهما جئتما علما نجد
فمنّا بتبليغ السلام على هند
وقولا لها رفقاً بقلب متيم
تركناه بالجوى يموت من الوجدِ
فلو كان من اهواه مثلي وعنده
من البث والشوق المبرَّح ما عندي
لما كنت أخشى أن أموت من النوى
لأن الذي أهواه مثلي في الود
ولكنني آسي ويسلو وأشتكي
ويلهو فمن للحب إن مت من بعدي

[١٣] الحنين والأنين:

الحنين للاشتياق، والأنين للهيمان، ولقاء الأحبة وفراقها مرتبط بسبق العلم وحلول الوقت وكرور الدور.

يقول بعضهم:

يـــــحن الحبـــــيب إلى رؤيـــــتي

وإنــــي إلـــيه أشـــد حنينــــا

وتهــــوى النفــــوس ويـــأبى القضـــا

فأشـــكو الأنـــين ويشـــكو الأنينـــا

وحنين العارف[1] حنين محبة وشوق لا حنين عرض يـزول بـزوال متعلقه، فإذا وصفت روحه بالبكاء، فإنما ذلك لحنينه إلى المناظر العلى وأن لا تحجب بتعشق الأكوان عمـا خلقـت لـه، فـإن رؤيـة الحـق في الخلق والتجلي في الصور يؤدي إلى التعلق بالأكوان لمـا ظهـر التجلـي فيها، فإن للحـق تنوعـاً في صـور التجليـات علـى حسـب مـا تعطيـه المقامات والأحوال. وإذا وقع التجلي علـى القلـوب يحـن المحـب إلى عالم التنـزيه والغيب. فحنين المحـب إلى مواطـن التجلـي مـن حيـث التجلي[2] لا من حيث ما هي.

يقول:

---

[1] قال الكاشاني:

«العارف من أشـهده الّله ذاتـه وصفاتـه وأسـماءه وأفعالـه، فالمعرفـة حـال تحـدث عـن شهوده».

ينظر: «اصطلاحات الصوفية: ٥٢».

[2] ساقطة من الأصل.

أبـــــدأ تحــــــنُّ إليكــــــم الأرواح

ووصـــــالكم ريحانهـــــا والـــــراح

وارحمتـــــا للعاشـــــقين تحملــــوا

ثقـــل المحبـــة والهـــوى فضـــاح

[١٤] الخجل:

وهو من أثر الحياء الذي يطرأ على القلب من التجلي.

[١٥] الخرس:

يعبر عنه قول الشاعر:[١]

تكلـــم منـــا في الوجـــوه عيوننـــا

فنحـــن ســـكوت والهـــوى يتكلـــم

تشـــير فـــأدري مـــا تقـــول بطرفهـــا

وأطـــرف طـــرفي عنـــد ذاك فتعلـــم

فالمحب مقامه الخرس، لأن حاله يترجم عنه.

ومما قيل شعراً:

---

[١] ساقطة في الأصل.

خـــرس اللســـــان[1] و لا دمـــوع تنطـــق

إن الهـــــوى بحشاشـــــتي متـــــعلق

لمـــا رأيـــت أحبـــتي يـــوم النـــوى

شـــط الرحيـــل ببينهـــم فتـــفرقوا

ســـلطت طوفـــان الدمـــوع عليهـــم

وبعثـــت أنفاســـي لكـــي لا يغرقـــوا

فتـــأوه الحـــادي وقـــال لهـــم قـــفوا

فبـــإثركم لاشـــك مـــن يتـــعشق

فـــأجبتهم مـــن تحـــت صـــوت باهتـــاً

قـــامت قيامـــة عبدكـــم فـــترفقوا

ردوا الصبـــاح لنـــاظري فـــما أرى

إلا ســـيوف المـــوت حولـــي تـــبرق

---

(1) وردت في الأصل: «اللان».

[١٦] الدهش: [1]

وسببه فجأة المحبوب، والمحب إذا ورد على منزل الأحبة أخذته الدهشة والحيرة في أول وروده، وربما يغشى عليه، وكذلك يدركه تبلبل فلا يوفي الأدب في السلام مع هذا الدهش.

[١٧] الذّل:

إن الذلة من أثر الحب، ولذا قلنا إنها بالمحب صاحب الغرام منوطة والمسكنة به مشروطة، والعاشق وإن كان عالي الهمة فإنه سلطان الحب عليه ينزله من الذل أن يوطأ بالحق، يقول المحب:

يعيرني قومي بذلي في الهوى

وكم من ذليل في الهوى يكسب العزّا

إذا كنت تهوى فاجعل الذل جُنّة

فإني رأيت الكبر ذي الهوى عجزا

---

(1) قال الكاشاني:

«بهتة تأخذ العبد إذا فجأة ما يغلب عقله أوصبره أو علمه»

وقال أيضاً:

«التحير في علم الحق وحكمته».

ينظر: «اصطلاحات الصوفية:١٨٧»

[١٨] الذّبول:

هو نعت صحيح في أرواح المحبين وأجسامهم، أما في أجسامهم فسببه ترك ملاذ الأطعمة الشهية التي لها الدسم والرطوبة، وهي مستلذة للنفوس، وتورث في الأجسام نضرة النعيم. فلما رأوا أن الّله تعالى كلفهم القيام بين يديه ومناجاته ليلاً عند تجلية ونوم النائمين، تركوا الطعام والشراب إلا قدر ماتمس الحاجة إليه من ذلك، فقلّت الرطوبة في أجسامهم، فزالت عنهم نضرة النعيم، وذبلت شفاههم، واسترخت أبدانهم، وراح نومهم وتقوى سهرهم، فنالوا مقصودهم من القيام بين يديه فذلك هو ذبول أجسامهم.

أما ذبول أرواحهم فإن لهم نعيماً بالمعارف والعلوم لأن لهم نسبة إلى أرواح الملأ الأعلى ليأنسوا بالجنس، ورغبة في المعونة. لماسمعوا قوله تعالى ﴿وتعاونوا على البِّر والتقوى﴾.[1]

قال بعضهم:

أصبحت فيك من الضنا

كالنقطة المتوهمة

التي لا و جود لها إلا في الوهم، فهذا نعتهم في الذبول.

---

(١) سورة المائدة، الأية:٢.

حكاية:

إن إسرافيل يتضائل في نفسه كل يوم لاستيلاء عظمة اللّه على قلبه سبعين مرة حتى يصير كالوضع، كما يحشر المتكبرون في نفوسهم على عباد اللّه يوم القيامة كأمثال الذّر ذلة وصغاراً، فهذا نعت ذبولهم في أرواحهم وأجسامهم.

[١٩] الزمن:

هو المحب الواقف لمانع يمنعه.

[٢٠] الزفرات:

فرط التولع علة في وجود الزفرة. والزفير زيادة الأشواق، وإنما تقع من مشاهدة زيادات الحسن في المشهود في نظر العين عند الشهود،وزفرات الأشواق هي أصوات نيرانها السخنة، فإن الزفير صوت النار.

فالزفرة من النفس تكاد تحرق، فهي من غلبة الاصطلام الوارد على القلوب، فهي نار نور محرقة بضيق القلب عن حملها، فتخرج منضغطة لتراكمها مما يجده المحب من الكمد، فيسمع لخروجها صوت تنفس[١] شديد الحرارة، كما يسمع لصوت النار صوت

[١] وردت في الأصل: «نفس».

يسمى الصوت زفرة.[1]

ولايكون ذلك إلا في الجسم الطبيعي خاصة، وقد يكون في الصورة المتجسدة ولهذا تتصف الصورة المتجسدة عن المعنى المجرد إذا ظهر فيها، وقيل هذه صورته يقول المحب:

إن كنت تنكر ما ألقاه من ألم
وما يضرّم في قلبي معذبه
أشر بعود من الكبريت نحو فمي
وانظر إلى زفراتي كيف تلهبه

وقال بعضهم:

يا قادح النار بالزناد
وطالب الجمر في الرمادِ
دع عنك شكاً وخذ يقيناً
واقتدح النار من فؤادي

[1] وردت في الأصل: «رمزة».

[٢١] السّكر:[1]

السكران حيران، والسكر يأخذ عن العقل ما عنده، فيذهب بالعقل، وهو المرتبة الرابعة في الحب،لأن أوله ذوق ثم شُرب ثم ريّ ثم سكر، وهوالذي يذهب بالعقل.

(٢٢) الشجي:

الشجن هو الحزن، والشجي حزين على ما فاته، فالمحب ذو أشجان:

يقول بعضهم:

تقول أناس لو نعت لنا الهوى
والله ما أدري لهم كيف أنعت

---

[1] قال الكاشاني:

«الحيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم، إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود»

وقال أيضاً:

«هو سكر الانبساط».

وقال أيضاً:

«هو التردد بين الخوف»

ينظر: «اصطلاحات الصوفية:٢٠٦».

بلـــى غـــير أنـــي لا أزال كأنــــني
علــيّ مـــن الأحـــزان بـــيتٌ مبيَّـــت
وقـــد زعمـــوا بـــي أنـــني لاأحـــبه
فمـــالي أراه مـــن بعـــيد فـأبـــهت
إذا اشـتد مـــا بـــي كـــان آخـــر حيلتـــي
لــه وضــع كفــي تحــت خــدّي وأصمــت

[٢٣] الشفقة:

الشفقة من المحب على المحبوب الممثل في خلده، فإنـه يتخيـل أن نيران الأشواق القائمة به تؤثر في ذلك المثال الذي خلده منـه، فتحـن الضلوع على المحبوب شفقة لتحول بينه وبين النار، لذا كان الضلوع محنية من أجل المحبوب لتضمه عناقاً وحذراً، أقول:

مـــا خفـــت إذ أضرمـــت نـــار الأســـى
في أضلـــــع تحرقـــــك النـــــار

والشفقة من المحبوب على المحب بأن لايزيد المحبوب في عـذاب المحب، فيرفق به حيث لايريد المحب، فإن النظرة من المحبوب تزيـد المحب وجداً إلى وجده وحبـاً إلى حبه فـتزيد عذابـاً، فـإن المحبـوب

صاح والمحب سكران، فالمحب مؤثر في المحبوب الرحمة به، والشفقة لما يعطيه شاهد حاله.

[٢٤] الشوق و الأشتياق:[١]

اعلم أن الشوق إلى الحضرة الإلهية ذاتي للعارف والصبر عرضي، والشوق للمحبة وصف لازم تابع لها، فإن الحب يتحكم بسلطانه في المحب، فيؤثر فيه على البعد وعلى القرب. فسواء بُعد الحبيب أو قرب فإن أثر الحب في المحب أمر لازم، فالشوق يسكن باللقاء والاشتياق يهيج بالالتقاء، ولا يعرف الاشتياق إلا العشاق من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق، من قام بثيابه الحريق كيف يسكن، وهل مثل هذا يتمكن، للنار التهاب وملكة، فلا بد من الحركة. والحركة قلق، فمن سكن فما عشق،كيف يصح السكون، وهل في العشق كمون، هو كله ظهور، ومقامه نشور، العاشق ما هو بحكمه، وإنما هو تحت سلطان عشقه، ولا يحكم من أحبه، هكذا

---

[١] قال الكاشاني:

«التشوق إلى ما في الغيب من الحقائق، و استشراف أنواع المعارف»

وقال:

«الاشتياق إلى التخلق بأخلاقه»

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:١٨٣-١٨٤).

تقتضي المحبة، فما حب محب إلا نفسه، أو ما عشق عاشق إلا معناه أو حسه، لذلك العشاق يتألمون بالفراق، ويطلبون لذة التلاق، فهم في حظوظ نفوسهم يسعون، وهم في العشاق الأعلون، فإنهم العلماء بالأمور، وبالذي خبأه الحق خلف الستور، فلا منه لمحب على محبوبه، فإنه مع مطلوبه، وماله مطلوب ولا عنده محبوب ومرغوب، سوى ما تقربه عينه، ويبتهج به كونه، ولو أراد المحب ما يريده المحبوب من الهجر هلك بين الارادة والأمر وما صح دعواه في المحبة، ولا كان من الأحبة.

فالشوق حركة روحانية إلى لقاء المحبوب، وحركة طبيعية جسمانية حسية إلى لقاء المحبوب إذا كان من شكله ذلك المحبوب، ويجد الحركة الاشتياقية تطلب استدامه حالة الوصلة. ولذلك يهيج باللقاء كما قيل في الشوق

وأبرح ما يكون الشوق يوماً
إذا دنت الديار من الديار

فإن الشوق أبرح ما يكون إذا أبصر المحب دار المحبوب، والشوق المبرح هو المظهر لما يكنه الجنان من الهوى:

شوق بتحصيل الوصال يزول
والاشتياق مع الوصال يكون

هــو مــن صفــات العشــق لا مــــن غــيره

والعشـــــق داء في القلـــــوب دفـــــين

وإن كان الحب لا يتعلـق إلا بمعـدوم كمـا قلنـا لذلـك الشـوق لا يصح أن يتعلق بحاضر، وإنما متعلقة غائب مشهود له في الحـال، ولـذا كان الشوق من أوصاف المحبة، ولهـذا يطـرِّد وينعكـس فيقـال كـل محب مشتاق، وكل مشتاق محب، ومـن ليـس بمشـتاق فليـس بمحـب ومن ليس بمحب فليس بمشتاق، وقدر ورد خـبر أن اللـه تعـالى ذكـر المشتاقين إليه، وقال عن نفسه إنه أشد شوقاً إليهم، كما يليق بجلالـه، فشوقه إليهم أن ينيلهم الراحة بلقاء من اشـتاقوا إليـه والوقـت المقـدر الذي لم يصل فلا بد من تأخر ما وقع الشـوق الإلهـي إليـه، هـذا إن صح الخبر، ولا علم لي به لا من الكشف، ولا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور وقد اتصفت الجنـة بالاشـتياق إلى عليّ وسـلمان وعمار و بلال، وتكلم الناس في ذلك من حيث اشتياق اسماء هؤلاء من العلوم والسلامة والعمران، ولكن ما هو محقق، فـإن الشـوق أمـر ذوقي يعرفه كل مشتاق من نفسه.

وقيل في ازدياد المحبة مع المشاهدة والشوق:

أغيـــب فيفنـــي الشـــوق نفســـي فـــألتقي
فـــلا اشـــتقي فالشـــوق غيبـــاً ومحضـــراً
فـــلا بـــد مـــن وجـــد يكـــون مقارنـــاً
لمـــا زاد مـــن حســـن نظامـــاً محـــرراً

وقال الشيخ:

النـــار تضمـــر في قلبـــي وفي كبـــدي
شـــوقاً إلى نـــور ذات الواحـــد الصمـــد
فجـــد علـــيَّ بنـــور الـــذات منفـــردا
حتـــى أغـــيب عـــن التوحيـــد بـــالأحد

[٢٥] الصبر: [١]

هو القدرة على ملك الوجد، فلا يظهر في المحب سلطانه،والصبر والشوق لا يجتمعان،كما أن العلو و السفل يجتمعان، لأن الصبر ليس

---

(١) قال الكاشاني:

«هو فضلية القوة الشهوانية، أو على المكروه، وهو كمال القوة الغضبية».

وقال أيضاً:

«حبس النفس عن المعاصي، وعلى الطاعات بالثبات عليها».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ١٤٩).

محل اللقاء،كما أن يكون لعزّة الحضرة الحضر الإلهية وامتناعها عن التجلي للمحب، فيحبس نفسه عن الشكوى، ويقوم الحزن في قلب المحب من فراق التجليات الإلهية.

[٢٦] الصبابة:

هي رقة الشوق إلى لقاء المحبوب، فهي وصف للمحبة بالرقة، لأنها انتقال إلى عالم اللطف فإن الكثيف غليظ الحاشية، والصب المائل بالمحبة الذي ماله مقيم، ومنه ريح الصبا أي المائلة، وصبا فلان إلى دين فلان إذا مال إليه.

والصب في الحب الإلهي هو المائل إلى الحضرة الإلهية، يخفي ما تنطوي عليه الضلوع من رقة الشوق.

يقول الشيخ:

مرغب خدي رقة وصبابة
فبحق حق هواكم لا تؤيسوا
يا موقد النار الرويدا هذه
نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا

[٢٧] طلب الرحمة:

المحب يطلب الرحمة به، فإن المحبة حكم توجب رحمة

الموصوف بها بنفسه، ولذا يجد المتنفس راحة في نفسه، فبروز النفس من المتنفس عين رحمته بنفسه، فكان مقام المحبة الإلهي أول مرحوم، فخلق الخلق وهو نفس الرحمن.

[٢٨] العشق:

هو إفراط المحبة، وهو معنى من المحبوب يقع به العشق، وهو الذي يوقد نار الشوق والوجد الذي في القلب وهو لا يكون إلا لتجلي الاسم الجميل، وكنى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[١] وهو قوله:﴿قد شغفها حباً﴾.[٢] أي حبها يوسف على قلبها كالشغاف، وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب، فهي ظرف له محيطه.

فالعشق التفاف الحب[٣] على المحب حتى خالط أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصَّماء.

ولا بد من سبب ورابطة بين العاشق والمعشوق حتى التف به على الاختصاص دون غيره، فإنه يراه في عينه أجمل ممن هو أجمل منه في

---

[١] سورة البقرة، الآية:١٦٥.

[٢] سورة يوسف، الآية:٣٠.

[٣] وردت في الأصل: «الخب».

علمه ولذا يكون العاشق تحت سلطان المعشوق، وإن كان عبده، فينتقل الحكم على السيد للعبد إذا كان معشوقاً له، فيكون تحت أمره، فيتخيل أنه يراه أعظم عنده من نفسه وأن سعادته في عبوديته و ذلته بين يديه مع أنه يحب الرياسة بالطبع، فإن العشق قد يكون روحانياً، مردّه إلى ما تقتضيه حقيقة الروح، وأن الروح لا رياسة عنده في نفسه ولا يقبل الوصف بها فإن العشق منه روحاني وطبيعي لوجوده من الحيوانات والنبات.

فإذا كان العشق من الإنسان لجارية أو غلام يفنى فيه، ولا يستفرغ مثل هذا الاستفراغ في حب ليس بإنسان من ذهب أو فضة. فالإنسان إذا ما عشق من العالم أي شيء كان من فرس أو دار فما قابله إلا بالجزء المناسب، ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه فيه.

العاشق إن راح المعشوق(١) لم يرح خياله، والمحب إذا ذهب المحبوب لم يذهب مثاله، فالصبابه أبداً معلقة، وزفرة وجده في ضلوعه محرقة، يقول المحب: ما للوجد تجرعني كأسه، ماله تحرقني أنفاسه، ويل للشجي من الخلي.

---

(١) وردت في الأصل: «المعوق».

حُكي عن الحسين بن منصور[1] الحلاّج أنه لما قطعت[2] أطرافه انكتب بدمه في الأرض (الله الله) حيث وقع، حيث قال:

مـــا قُـــدَّ لـــي عضـــو[3] ولا مفصـــل
إلا وفيـــــه لكـــــم ذكـــــر

فهؤلاء هم العشاق الذين استهلكوا في الحب هذا الاستهلاك.

[٢٩] العلة و المرض:

المرض الميل، وهو ما أثرّ الهوى من الشدّة[4] والكرب في القلب، وعندما يميل المحبوب إلى المحب بالرحمة و التلطف يتعلق قلب المحب بالمحبوب، فيكون الحب هو الميل الدائم.

ومن أمرضه الهوى فماله علالة إلا الحديث فيه وعنه وبما يحدث منه:

يقول:

مرضـــي مـــن مريضـــة الأجفـــان
عللانـــي بذكرهـــا عللانـــي

[1] ساقطة من الأصل.

[2] ساقطة من الأصل.

[3] وردت في الأصل: «عصو».

[4] وردت في الأصل: «العدّة».

هفـــت الـــوِرق في الريـــاض ونـــاحت

شـــجو هـــذا الحمـــام ممـــا شـــجاني

[٣٠] عظمة المحبوب:

لا يعظم أحد في عين لذاته إلا المحبوب، فإنه يعظـم في عـين محبـه لذاته، فكل شيء منه يتلقاه المحب الصادق الحب بالقبول و الرضـى، وما كل محب محب لأن طلب الغرض مـن المحـب لايصح في الحـب الصادق الذي استفرغ قواه، وإنما ذلك لمن بقيت فيه فضلة يعقل بهـا أنه محـب، لذلـك يطرأ العـذاب على المحبـين مـن عـدم الملائمـة في أغراضهم. فإذا فني المحب غرضه، وكان مع ما يريد منه وبـه محبوبه صار كل شيء في هـواه حسـناً، لأنـه عُـرض لمحبوبـه، وفيـه إرادتـه، وكما قيل «كل ما يفعله[١] المحبوب».

إذا كان الأمر بهذه المثابة، ويكون المحب صادقاً في هذا المقام لـم يشك ما يجد، ولا يجد حزناً، ولا يشكو تعباً، فـإن إرادتـه عـين إرادة محبوبه، فقد اتفق له جميع ما يريد، ومن اتفق له مراده، فهو مســرور، فإن باطن الإنسان، وهو الذي رزقه اللـه الالتـذاذ بالطاعـات تصرفـه

---

[١] وردت في الأصل: «يجعله».

المحبة، فلا يحسن المحب بالمشقة ولا بالتعب في رضى المحبوب،[1] وإن كان بناء هذا الهيكل يضعف عن بعض التكاليف، فإن الحب يهونه، ويسهله. فالمحب يتلقى بالحب تكاليف محبوبه بالقبول.

[٣١] الغرام:

هو الاستهلاك في المحبوب بملازمة الكمد لملازمة شهود المحبوب، فإن الغريم هو الذي لزمه الدين، وبه سمي غريماً، ومقلوبه الرغام أي اللصوق بالتراب فإن الرغام التراب،[2] يقال رغم أنفه إذا كان الأنف محل العزة قوبل بالالتصاق بالتراب.

فيكون الغرام حكمة في المغرم. والغرام اصطلام، نار المحبة لا تخمد، ودمعها لاينفد، وقلقه لايَبعد.

ولما لازم الحب قلوب المحبين والشوق قلوب المشتاقين، والأرق نفوس الأرقين.

وكل صفة للحب موصوفها منه سُمي صاحب هذه الملازمات كلها مغرماً، وسميت صفته غراماً، فهو اسم يعم جميع ما يلزم المحبين في صفات الحب، وليس للحب صفة أعظم إحاطة من

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ساقطة من الأصل.

الغرام، وله في الحب سلطان عظيم، فيه النحول والهيمان والدموع والسقام، ويجتمع مع ذلك الفراق، وهو العينية عن مشاهدة المحبوب.

[٣٢] الغربة و الاغتراب:[1]

الغربة مفتاح الكرب، لولاها ما كانت القرب، هو الغريب وهو الحبيب ولا يقال في الحبيب إنه غريب،هو للمحب عينه وذاته، واسماؤه وصفائه لانظر له إلا إليه، فإنه ليس شيئاً زائداً عليه. ماهو عنه بمنعزل، وما هو له بمنزل.

قيل لقيس ليلى من أنت؟ قال: ليلى، قيل له: من ليلى؟ قال: ليلى، فما ظهر له عين في هذا البين، فما بقي اغتراب، فإنه في تبات، فقد عينه وزال كونه.

العشاق لا يتصفون بالشوق والاشتياق، الشوق إلى غائب، وما ثم غائب، من كان الحق سمعه كيف يطلبه.

---

(١) قال الكاشاني: «الانقطاع عن ملذات الدنيا وطيباتها، وصرف الهمة عن لذاتها».
وقال أيضاً:
«الذهاب عن المألوف، والاغتراب عن العادات».
ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ١٩٦).

[٣٣] الغيرة:[1]

الغيرة تقتضيها المحبة فإنها من نعوتها،وهي رؤية الأغيار، فالمحب يغار لما يقتضيه تعظيم المحبوب وغيره أن تنتهك حرمته، حتى يغار المحب أن يكون له وجود في نفسه لغير محبوبه،فالمحب يغار إلى عرض المحبوب لئلا يقع العاذل في جناب من يستحق التعظيم بما لا يليق بجنابه.

ومن عاين الحق في كل شيء لا غيرة فإنه ما رأى في كل شيء إلا وجهه، والحق واحد، ولكن للحق التنوع في صور التجليات على حسب ما تعطيه المقامات والأحوال.

فمن هنا يظهر لسان الغيرة في جناب الحق ولو أن الحق واحد في ذاته.

---

[1] قال الكاشاني:

«نفاسة رسم المحبوب عند المحب، والظن به عن أن يتعلق المحبة بغيره، أو يشغله عنه شيء، أو يحجبه بحيث لا يحتمل ذلك ولا يصبر عليه».

وقال أيضاً: «الغيرة على الخشوع للغير، والرغبة فيه والخوف منه».

وقال أيضاً: «الغيرة على قصيد لغير المحبوب، وفتور وأُنس بغيره».

وقال أيضاً: «الغيرة إثبات وجود الحق تعالى».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:١٨٣).

[٣٤] الكمد:

الكمد يورث الذوبان،[1] وهو أشد حزن القلب، لا يجري معه دمع إلا أنّ صاحب يكون كثير التأوه والتنهد، وهو حزن يجده في نفسه لا على فائت ولا تقصير، وهذا هو الحزن المجهول الذي هو من نعوت المحبين، ليس له سبب إلا الحب خاصة، وليس له دواء إلا وصال المحبوب، فيفنيه شغله به عن الإحساس بالكمد. وإن لم تقع الوصلة بالمحبوب اتصال ذوات، فيكون المحبوب ممن يأمره، فيشغله القيام بأوامره وفرحه بذلك عن الكمد. فأكثر ما يكون الكمد إذا لم يقع بينه وبين المحبوب ما يشغله عن نفسه، وليس للحب صفة تزول مع الاشتغال غير الكمد.

لما تحكمّ عين الشمس[2] في بصري
تمكن الحبُّ بالسلطان في خلدي

وأنزل الجند في نفسي منازلهم
كالوجد والشوق و التبريح والكمد

فعندما أخذوا مني منازلهم
ناديت من لهيب الأشواق في كبدي

---

[1] وردت في الأصيل: «الوذان».

[2] وردت في الأصيل:«المش».

الحـــب حمـــلني مـــا لـــست أحملـــه

حـــتى بقـــيت لـــه روحـــاً بـــلا جســـد

[٣٥] الكرب:

هو ما يجده المحب من غليل الهوى وحرقاته واصطلامه وزفراتــه، فلا راحة لمحب.

يقول:

الحـــب[١] حلـــو البـــدء مـــرّ العقـــب

وأصعـــــــب الأدواء داء الحـــــــبِّ

وصـــاحب الحـــبّ حليـــف الكـــرب

مدلـــه العقـــل عميـــد القلـــبِ

[٣٦] الكتمان والستر:

هـو كتمـان[٢] المحـب مـا أكنّـه مـن الجـوى غـيرة علـى عـرض المحبوب، لئلا يقع العاذل في جناب من يستحق التعظيـم بمـا لا يليـق بجنابه، فيفعل ذلك صيانة للمحبوب وإيثاراً.

قال الضحاك:

---

[١] وردت في الأصل: «الخب».

[٢] ساقطة من الأصل.

يقولـــون مجنـــون بســـمرا مولّـــع
ألا حبـــذا جـــنٌ بهـــا وولـــوع
وكيـــف أطيـــع العـــاذلات وحبـــها
يؤرقنـــي والعـــاذلات هجـــوع
وإنـــي لأ خفـــي حـــب ســمراء عنهمـــو
ويعلـــم قلبـــي أنـــه سيشيـــع[1]

فالكتمان في المحبة أصل، بكل وجه وفضل، فتارة من باب الاحترام، وتارة شفقة من الآلام، كما يقول:

عليـــك الجســـم قـــد هجـــر المنامـــا
يصـــاحب خيفـــة الواشـــين لامـــا
يهيـــم بـــروح قـــدس[2] لا يســـامى
إذا مـــا أبصـــر الشـــعرى تســـاما
يقـــول أنـــا القتيـــل بغـــير ســـهم
وذاتـــي كلهـــا ملئـــت ســـهاما

---

(1) ينظر: (ديوانه:١٧٦).

(2) وردت في الأصل: «مدس».

شكوت اسم الحبيب إليّ وحدي
وراعيت المودة والذماما
ولم أخف اسمه حذراً عليه
ولكني ابتغيت الإحتراما

[٣٧] اللوعة:

هي حرقة الهوى.

قال بعضهم:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي
أقبلت نحو سقاء القوم أبتردُ
هذا يبرّد برد[1] الماء ظاهره
فمن لحرٍّ على الأحشاء يتقدُ

يقول ابن الرومي:

يا موقد النار قد هيجت أشجاناً
ولم أطلق للذي هيجت كتمانا

---

(١) وردت في الأصل: «رد».

أوقـــدت نـــاراً علـــى عليـــاء واحــــدة

وأوقـــد الشـــوق في الأحشـــاء نيرانـــا

قال العباس بن الأحنف:

إنـي وجـدت الهـوى في الصـدر إذ ركـدا

كالنـــار بـــل زاد جـــوف الصـــدر متقـــدا

النـــار تطفـــى بـبرد إنْ المـــاء إنْ ضُرمـــت

ولـــو ضربـــت الهـــوى بالمـــاء مـــا بـــردا

[٣٨] المدلة:

هي سكران العقل، لا تدبير له. يقول:

الحـــب يـــترك مـــن أحـــب مدلّهـــا

حــــيران أويقضـــي عليـــه فيســـرع

[٣٩] الموت:[١]

يكون بالذوبان خوفاً من أنوار و سطوات الهيبة، كما يموت الحب ويقاسي الآلام بين طلب الوصل بالمحبوب وبين عزة المحبوب ومنعته.

يقول أحمد بن مسعود شداد المقري:

«فيمن أفناه الشوق، وأودى به التوق، وأماته التذكر، وأفناه التفكر، وأفناه التفكر، حتى صارت جزيئاته وكلياته لله، وحركاته وسكناته بالله، ولحظاته وخطراته من الله، وضمائره وسرائره مع الله، فني به عنه، لما منحه به منه، وذلك حين زهد في شهواته ولذاته، و تجوهر في صفاته وذاته، ففني بمولاه عن تربة ونفسه، بما أولاه من قربه وأنسه، عرض عَرَضه على الخلق، وجاهر بجوهر لدى الحق، حتى صار بين الأتراب من عالم التراب، ومن أولي الألباب

---

[١] قال الكاشاني:

«هو قمع هوى النفس، فإن حياتها به، ولا تميل إلى لذتها وشهواتها، ومقتضيات الطبيعية البدنية إلا به، وإذا مالت إلى الجهة السفلية جذبت القلب الذي هو النفس الناطقة إلى مركزها، فيموت عن الحياة الحقيقية العلمية التي له بالجهل،فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه انصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمة عالم القدس والنور والحياة الذاتية...».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:٩٩).

عند رب الأرباب،[1] بقي صورة في الفِناء، ومعنى في عالم الفَناء فعي السعادة لم تزل تلاحظه من قبل الأزل،[2] فهو في عالم الصور معنا، وفي عالم الأرواح يشاهد المغنى، فلما أفناه موجده عن وجوده، بما حباه من طوله وجوده، تحيط جوهر روحانيته، في عرض إنسانيته، وطمعت في الخلاص الأرواح، من حصر أقفاص الأشباح، هتفت بها هواتف الأقدار بالعشي والأبكار». قال بعضهم:

يا حسرتي كيف ألقاهم ولي جسد[3]
ولي فؤاد ولي سمع ولي بصر

إذا اعتذرت أجابتني محاسنهم
مالامرىء لم يمت في حبنا عذر

[٤٠] النحول:

وهو نعت يتعلق بكثائفهم وبلطائفهم،[4] فأما تعلقه بلطائفهم فإن أرواح المحبين، وإن لطفت عن إدراك الحواس، ولطفت[5] عن تصوير

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) وردت في الأصل:«جد».

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) ساقطة من الأصل.

الخيال فإن الحب يلطفها لطافة السراب، وذلك أن السراب يحسبه الظمأن ماء لظمئه، لولا ذلك ما حسبه ماء لأن الماء موضع حاجته، فيلجأ إليه لكونه مطلوبه ومحبوبه لما فيه من سر الحياة، فإذا جاءه لم يجده شيئاً، وإذا لم يجده شيئاً وجد الله عنده عوضاً عن الماء.

فكان قصده حساً للماء، والله يقصد به إليه من حيث لا يشعر، فكما أنه تعالى يمكر بالعبد من حيث لا يشعر كذلك يعتني بالعبد في الالتجاء إليه والرجوع إليه والاعتماد عليه، بقطع الأسباب عنه عندما يبديها له من حيث لا يشعر.

فوجود الله عنده عند فقد الماء المتخيل له في السراب هو رجوعه إلى الله، لما تقطعت به الأسباب، وتغلقت دون الأبواب رجع إلى من بيده ملكوت كل شيء وهو كان المطلوب به من الله هذا فعله مع أحبائه يردهم إليه[1] اضطراراً واختياراً كذلك أرواحهم يحسبونهم قائمة بحقوق الله التي فرضها عليها، وأنها المتصرفة عن أمر الله التي فرضها عليه، وأنها المتصرفه عن أمر الله محبة الله، وشوقاً إلى مرضاته ليراها حيث أمرها، فإذا كشف لها الغطاء، واحتد بصرها، وجدت نفسها كالسراب في شكل الماء، فلم تر قائماً بحقوق الله إلا خالق

---

[1] ساقطة من الأصل.

الأفعال وهو الله بعين الحق، كما فني السراب من السراب، والسراب مشهود في نفسه، وليس بماء، كذلك الروح موجود في نفسه، وليس بفاعل.

فعلم ذلك أن المحب عين المحبوب، وأنه ما أحب سواه، ولا يكون إلا كذلك. أما النوع المتعلق من النحول بكثائفهم فهو ما يتعلق به الحس من تغير ألوانهم وذهاب لحوم أبدانهم لا ستيلاء جولان أفكارهم في أداء ما كلفهم المحبوب أداءه مما افترضه عليهم، فبذلوا المجهود ليتصفوا بالوفاء[1] بالعهود إذ كانوا عاهدوا الله على ذلك وعقدوا عليه في إيمانهم به وبرسوله، قال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[2] وقال:﴿أوفوا بعهدي﴾[3] وقال:﴿ولا ينقضون الميثاق﴾[4] وقوله تعالى:﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾.[5] فهذا سبب نحول أجسامهم.

---

[1] وردت في الأصل: «بالوماء».

[2] سورة المائدة، الآية:١.

[3] سورة البقرة، الآية: ٤٠.

[4] سورة الرعد، الآية: ٤٠

[5] سورة النحل، الآية:٩١.

[٤١] الهيام:

العشق للجمال و الهيمان في الدلال،[١] والمحب هائم القلب، أي حائر في الوجود التي يريد أن يتقلب فيها القلب، والمهيمون هم الذين يهيمون على وجوههم من غير قصد جهة مخصوصة. فالمحبون لله أولى بهذه الصفة فإن الذي يحب المخلوق إذا هام على وجهه فهو لقلقه ويأسه من مواصلة محبوبه، ومحب الله متيقن بالوصلة، وقد علم أنه سبحانه لا يتقيد ولا يختص بمكان يقصد منه، لأن حقيقة الله تأبى ذلك، ولذلك قال:﴿ فإنما تولوا فثم وجه الله﴾[٢] وقال تعالى﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.[٣]

فمحبة مهيم في كل واد، وفي كل حال لأن محبوبه الحق، فلا يقصده في وجه معين، بل يتجلى له في أي قصد قصده على أي حالة كان، فهو أحق بصفة الهيمان من محبي المخلوقين، فهو تعالى المشهود عند المحبين في كل عين، والمذكور بكل لسان، والمسموع من كل متكلم، هكذا عرّفة العارفون.

---

[١] وردت في الأصل: «الذلال».

[٢] سورة البقرة، الآية:١١٥.

[٣] سورة الحديد، الآية:٤.

[٤٢] الهلاك:

الهالك من تحرقه سطوات هيبة التجلي.[١] فلا يبقى المحب، وذلك عند عدم الصبر، ونزول الحزن به. والهوى إذا افرط أدى إلى الهلاك، أي الموت.

حكاية:

حكي عن جماعة من المحبين أن محبوبه قال له: «إن كنت تحبني فمت، فوقع من حينه في الأرض بين يديه ميتاً».

حكاية:[٢]

روينا عن إبراهيم بن موسى قال:

رأيت فتى صلى يوم عيد الأضحى، وقد شمَّ روائح اللحوم، فدخل إلى زقاق، فسمعته يقول:

«تقرّب المتقربون إليك بقربهم، وأنا أتقرب إليك بطول حزني، يامحبوبي كم تتركني في أزقة الدنيا محزوناً؟ ثم غشي عليه، وحُمِل إلى منزله، فدفناه بعد ثلاث».

هذا هو فتح بن شرف الموصلي، من سادات قومه.

---

[١] وردت في الأصل: «الجلي»

[٢] وردت في الأصل «حكاه».

[٤٣] الهيبة:

الهيبة من أثر الجمال[1] على كل حال، محبوب، وهو أعز مصحوب، من صحبة الجمال لم يزل في اعتلال، ومن زاد شهوده في غلته، إن الله جميل ويحب الجمال.

جعل العلماء من أهل الأنس بالجمال مربوطاً، والهيبة بالجلال[2] مربوطة، وليس الأمر كما قالوه، ذلك أن الجمال والجلال وصفات لله تعالى، والهيبة والأنس وصفات للإنسان، فإذا شاهدت حقائق العارفين، الجلال هابت وانقبضت، وإذا شاهدت الجمال أنست و ابتسطت،

---

(١) قال الكاشاني:

«الجمال هو تجلية بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته الكل عنه تجلّيه بوجهه، فلم يبق أحد حتى يراه، علوّ الجمال، وله دُنو يدنوبه منا، وهو ظهوره في الكل كما قال شعر:

جمالك في كل الحقائق سافر   وليس له إلا جلا لك سائر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعينات الأكوان، فلكل جمال جلال، ووراء كل جلال جمال..»

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ٢٤).

(٢) قال عبد الرزاق الكاشاني:

«الجلال هو احتجاب الحق سبحانه عنا بعزته أن نعرفه بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته، فإن ذاته سبحانه لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو».

ينظر: «اصطلاحات الصوفية: ٢٣».

فجعلوا الجلال للقهر والجمال للرحمة. والحقيقة أن الجلال لله معنى يرجع منه إليه، وهو منعنا بالمعرفة به تعالى، والجمال معنى يرجع منه إلينا، وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به و التنزلات والمشاهدات،[1] والأحوال،[2] وله فينا أمران الهيبة الأنس، ذلك لأن لهذا الجمال علواً ودنواً، فالعلو نسمية جلال الجمال، وفيه يتكلم العارفون، وهو الذي يتجلى لهم ويتخيلون أنهم يتكلمون في الجلال الأول الذي ذكرناه، وهذا جلال الجمال قد اقترن معه الأنس، والجمال الذي هو الدنو قد اقترنت معه منا الهيبة، فإذا تجلى لنا جلال الجمال آنستا، ولولا ذلك لهلكنا، فإنا لجلال والهيبة لا تبقى لسلطانهما شيء.

---

[1] قال الكاشاني:

«هو ما يحضر القلب من أثر المشاهدة، وهو الذي يشهد له بصحيه كونه محيطاً من مشاهدة شهوده، إما بعلم لدني لم يكن له، مكان أو وجد أو حال أو تجل أو شهود»

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:٤٤).

[2] قال الشيخ عبد الرزاق الكاشاني:

«الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق، ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أولاً، فإذا دام وصار ملكاً سمي مقاماً».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:٢٦).

إن الهيبة تجعل صاحبها يترك أموراً كانَ في نفسه في وقت حديث النفس، أن يفعلها مع محبوبه عند الاجتماع به واللقاء فتمنعه هيبة الجمال مما حدثته به نفسه، وقد وصف الله نفسه بالحياء من عبده إذا لقيه، فقام الحياء لله مقام الهيبة في المخلوق.

[٤٤] الهوى:[١]

ذو سلطان لأنه من العالم العلوي، ولهذا سمي سقوطه، فقيل فيه: هوى أي سقط. فالهوى إستفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب، وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب نظرة أو إحسان. والهوى ضربان:

الأول:

سقوطه في القلب، وهو ظهوره من الغيب إلى الشهادة في القلب، يقال: هوى النجم إذا سقط، يقول تعالى: ﴿والنَّجم إِذا هوى﴾.[٢] فهوى من أسماء الحب في ذلك الحال.

---

[١] قال عبد الرزاق الكاشاني:

«الهوى هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية».

[٢] سورة النجم،الآية: ١

وسبب حصول المعنى الذي هو الهوى في القلب أحد ثلاثة[1] أشياء أو بعضها أو كلها.إما نظرة أو سماع أو إحسان، و أعظمها النظر، وهو اثباتها فإنه لا يتغير باللقاء، والسماع ليس كذلك فإنه يتغير باللقاء،[2] فإنه يبعد أن يطابق ما صوره الخيال بالسماع صورة المذكور، وأما حب الإحسان فمعلول تزيله الغفلة مع دوام.[3]

الإحسان، لكون عين المحسن غير مشهودة، قال بعضهم في الحب المولد:

يا قوم أذني[4] لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً

ويقول قائل:

الأذن عاشقة[5] والعين عاشقة
شتان ما بين عشق العين والخبر

---

[1] ساقطة في الأصل.

[2] ساقطة من الأصل.

[3] وردت في الأصل: «دام».

[4] ساقطة من الأصل.

[5] ساقطة من الأصل وبدونها لا يستقيم الوزن.

فـــالأذن تعشـــق مـــا وهـــمي يصـــوره
والعـــين تعشـــق محسوســـاً مـــن الصـــور
فصـــاحب العـــين إن جـــاء الحبيـــب لـــه
يومـــــاً ليبصـــــره يلتـــــذ بالنظـــــر
إلا هـــــوى زينـــــب فإنـــــه عـــــجب
قـــد اســتوى فيــه حــظ الســمع والبصــر
وصـــاحب الأذن إن جـــاء الحبيـــب لـــه
في صـــورة الحســـن مـــا ينفـــك عـــن غـــير

الثاني:

لا يكون هذا الضرب إلا مع وجود الشريعة، وهو قوله تعالى: ﴿احكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾.[1]

فالهوى هنا محاب الإنسان، فأمره الحق بترك محابه إذا وافق غير الطريقة المشروعة، فإن قلت: فقد نهاه عما لا يصح أن ينتهي عنه فإن الحب الذي هو الهوى سلطانه قوي ولا وجود لعين العقل منه. قلنا: ما كلفه إزالة الهوى فإنه لا يزول إلا أن الهوى يختلف متعلقه، ويكون في موجودين كثيرين. والهوى الذي هو الحب حقيقة حب

[1] سورة ص، الآية:٢٦.

الاتصال في موجود ما. فللهوى السراح والسماح، وله لكل باب مفتاح، سلطانه في الدنيا و الآخره، وليست الشهوة سوى الهوى، ومن هوى فقد هوى، لهذا قيل في العاشق ما عليه من سبيل، وإن ضل عن السبيل.

فالنفس محل الهوى بالحشا لأنه كالمحشوة في البدن،[1] والشهوة آله النفس تعلو بعلو المشتهى، وتسفل باستفال المشتهى.

[٤٥] الود:

له اسمه إلهي وهو الودود،[2] والودّ من صفات الله تعالى، وهو الثابت فيه، وبه سمي الودُّ ودّاً لثبوته في الأرض.

فالودّ ثبات الحب أو العشق أو الهوى أية حالة كانت من أحوال هذه الصفة، فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها، ولم يغيره شيء عنها ولا إزالة عن حكمها، وثبت سلطانها في المنشط والمكروه، وما يسوء ويسر وفي حال الهجر والطرد. من الموجود الذي يجب أن

---

[1] وردت في الأصل: «الدن».

[2] قال الكاشاني:

«منه كملت مودته لله ولأوليائه فأحبه الله، وألقي محبته على جمع خلقه، فأحبه الكل إلا جهال الثقلين».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ٦١).

يظهر فيه محبوبه ولم يبرح تحت سلطانه لكونه مظهر محبوبه، سمي لذلك ودّاً، وهو قوله تعالى: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودّاً﴾.[1] أي ثباتاً في المحبة عند الله وفي قلوب عباده، ولذلك سمي الحق بالودود لثبوت حبه. ثم إن من رزقه الله تعالى أن يحبه كحبه إياه، أعطاه الشهود[2] ونعمه بشهوده[3] في صور الأشياء.

فقيل قيس أحب ليلى، فليلى عين المجلى، وكذلك كثيرّ أحب عزة وجميل أحب بثينة، هؤلاء كلهم منصات تجلي الحق عليها وإن جهلوا من أحبوه بالاسماء.

فإن الإنسان قد يرى شخصياً، فيحبه ولا يعرف ما هو ولا يعرف اسمه[4] ولا إلى من ينتسب، ويعطيه الحب بذاته أن يبحث عن اسمه حتى يلازمه ويعرفه في حال غيبته باسمه ونسبه، فيسأ ل عنه إذا فقد مشاهدته، وهكذا حبنا الله تعالى نحبه في مجاليه، وفي هذا الاسم

---

(1) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(2) قال الكاشاني:

«الشهود رؤية الحق بالحق».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية: ٤٤).

(3) ساقطة من الأصل.

(4) ساقطة من الأصل

الخاص الذي هو ليلى، فهنا نحب الاسم، ولا نعرف أنه عين الحق، وفي المخلوق تعرف العين، وتحب وقد لا يعرف الاسم، ويأبى الحب إلاّ التعريف به، فمنا من يعرف في الدنيا، ومنا من لا يعرف حتى يموت محباً في أمر ما. فينقدح له كشف الغطاء أنه ما أحب إلا الله، وحجبه اسم المخلوق، قال تعالى:﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾[1] فما عبدوا إلاّ الالوهيه، وإن اخطأوا في النسبة.

قال بعضهم:

فهكــــــذا الأمـــــــر إن عقلنـــــــا

فــــإن تكـــــن فيـــــه كنـــــت أنتـــــا

منصـــــــة الحـــــــق أنـــــــت حقـــــاً

فـــــأنت مـــــا أنـــــت حـــــين أنتـــــا

فما أعجب القرآن في مناسبة الأسماء والأحوال[2] فهو الغفور

---

[1] سورة الإسراء،الآية:٢٣.

[2] قال الكاشاني:

«الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل و اجتلاب كحزن أو خوف...ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أولا، فإن دام وصار ملكاً سمي مقاماً».

ينظر: (اصطلاحات الصوفية:٢٦).

الودود ذو العرش المجيد فعّال لما يريد فهو المحب.

قيل:

ولا تـدرك الأبصـار منـه سـوى الـذي
تنزهـه عنـه عقـول ذوي الأمـر
فـإن قلـت محجـوب فلسـت بكـاذب
وإن قلـت مشـهود فـذاك الـذي أدري
فهـن سـتور مسـدلات وقـد أتـى
بذلـك نظـم العاشـقين مـع النـثر

حكاية:

حكي أن قيسًا المجنون كـان مـن المحبـين للـه وجعـل حجابـه[1] ليلى، وكان من المولهين، ومـن شـأن المحـب أن يطلـب الاتصـال[2] بالمحبوب.

---

[1] قال الكاشاني:

«الحجاب هو انطباع الصور الكونيه في القلب المانعة بقبول تجلي الحقائق».

ينظر: «اصطلاحات الصوفية:٢٦».

[2] وردت في الأصل: «الاصال».

[٤٦] الوله:

هو الشغل بالحب عن المحبوب، يقال عنه: حيران. قال مجنون بني عامر:

وشـــغلت عـــن فهـــم الحديـــث ســـوى

مـــا كـــان منكـــم وحبكـــم شـــغلي

وأديـــم لحـــظ محـــدثي لـــيرى

أن قـــد فهمـــت وعندكـــم عقلـــي[١]

[٤٧] الوصل الدائم:

ويكون مع بقاء العين، فيكون برد السرور وثلج اليقين، ولهذا قلنا: ينبغي للعارف أن لا يقف إلا مع الذات، ولا يتعشق باسم دون اسم. فإنه في كلّ حال مفارق لاسم مواصل لآخر. وما أعذب اللثم والعناق عند العشاق.[٢]

---

[١] ينظر: «ديوانة: ٩٥».

[٢] وردت في الأصل: «العاق».

[٤٨] الوجد:[1]

هو ما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده، وهو حزن مما يجده المحب من الهموم، فالمحب عندما يرد من مشاهدته في عالم الفناء عن الإحساس المعتاد في عالم الشهادة حيث كان مؤنساً ضاحكاً، ابتهاج وسرور وغبطة وحبور عندما يرد إلى إحساسه ومشاهدة عالم الضيق والحرج وفراق تلك الفسحات والفرج العلوية والمسارح تأخذه الوحشة تلك الفرقة ويصير عبوساً مهموماً مغموماً.

إن المحب إذا رجع إلى علم الكون بعد أنسه بتلك العين المقدسة و الشهود الأقدس يجد من الألم مثل ما يجده المتعشق عند نزول

---

(1) قال الكاشاني:

«شعلة متأججة من نار العشق يستفيق لها الروح بلمع نور أزلي، وشهود دفعي».

وقال أيضاً:

«لهب مشتعل يستفيق لها شاهد الحسن سمعاً أو بصراً».

ينظر: «اصطلاحات الصوفية:١٨٦».

وقال الجُنيد:

«الوجد هو انقطاع الأوصاف عند سمة الذات والسرور».

وقال ابن عطاء:

«الوجد هو انقطاع الأوصاف عند سمة علامة الذات بالحزن».

وينظر هذه المادة اللغوية في: «لسان العرب،لابن منظور، مادة: وجد».

الموت ومفارقة المألوفات التي كان يأس بها فلم يجد رزية أعظم من المنية لمن لا يحب المفارقة، ومعاينة أسباب الوقت التي هي كرباته وغمراته أعظم من الموت، فيؤثر ذلك في المحب النحول والهيمان والسقام والغرام ثم اجتماع الفراق.

حكايات عن بعض المحبين الإلهيين

الحكاية الأولى

[١]

خرج ذو النون المصري حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينما هو يطوف إذ بشخص متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي ويقول في بكائه:

«كتمت بلائي من غيرك، وبحت بسري إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك».

ثم انشأ يقول:

ذوقتني طعم الوصال فزدتني

شوقاً إليك مخامر الأحشاء

ثم أقبل يخاطب نفسه فقال: «أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحيت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت».

ثم قال:

«عزيزي مالي إذا قمت بين يديك القيت عليّ النعاس، ومنعتني

حلاوة مناجتك،لِمَ قرة عيني؟».

ثم انشأ يقول:

روعـــت قلـــي بـــالفراق فلـــم أجـــد
شـــيئاً أمـــرّ مـــن الفـــراق وأوجعـــا
حســـب الفـــراق بـــأن يفـــرق بيننـــا
ولطالمـــا قـــد كنـــت منـــه مروعـــا

قال ذو النون المصري:

فأتيت إليه، فإذا به امرأة.

الحكاية الثانية

[٢]

كان ذو النون المصري قاعداً يتكلم، وحوله رهط من الناس يبكون، وشاب يضحك، فقال له ذو[1] النون:

مالك أيها الشاب الناس يبكون وأنت تضحك؟

فأنشأ يقول:

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظاً جزيلاً
ليس لي في الجنان والنار رأي
أنا لا ابتغي بحبي بديلا

فقيل له: فإن طردك، فماذا تفعل؟

فقال:

---

(1) وردت في الأصل: «ذي».

فـإن لـــم أجـــد مـــن الحـــب[1] وصـــلا

رمـــت في النـــار مـــنزلاً ومقيـــلاً

ثـــم أزعـــجت أهلـــها ببكـــائي

بكــــرة في ضريعهـــا وأصيـــلا

إن لـــم أكـــن في الـــذي ادعيـــت صدوقـــاً

فجزانـــي منـــه العـــذاب الوبيـــلا

(1) ساقطة من الأصل، و إثباتها أوْلى لاستقامة الوزن

الحكاية الثالثة

[٣]

يروى أن ذا النون المصري سأل امرأة، متى يحوي الهموم قلب المحب؟

قالت: إذا كان للتذكار مجاوراً وللشوق محاضراً، يا ذا النون أما علمت أن الشوق يورث السقام، وتجديد التذكار يورث الحزن. ثم قالت:

لم أذق طيب وصلك حتى
زال عنى محبتي للأنام[١]

فأجابها ذو النون:

نِعم المحب إذا تَزَايد وَصله
وعلت محبته بعقبِ وصال

فقالت:

أوجعتني أوجعتني،[٢] أما علمت أنه لا يوصل إليه إلا بترك من دونه؟

---

[١] وردت في الأصل: «الأمام».

[٢] وردت في الأصل: «أوجعي».

الحكاية الرابعة

[٤]

يروى عن الجنيد أنه حجّ مرة، فجاور مكة، فكان إذا جنَّ الليـل، دخل يطوف، وذات مرة رأى جارية تطوف، وهي تقول:

أبـى الحـب أن يخفـى وكـم وقـد كتمتـه
فـأصبح عنـدي قـد أنـاخ وطنبـا
إذا اشـتد شـوقي هـام قلبـي بذكـره
وإن رمـت قربـاً مـن حبيبـي تقرّبـا
ويبـدو فـأفنى ثـم أحيـا بذكـره
ويسـعدني حـتى ألـذ وأطربـا

قال الجنيد: يا جارية، أما تتقين الله في هذا المكان؟ تتكلمين بهـذا الكلام، فالتفتت إليه وقالت:

يا جنيد:

لـولا التقـى لـم ترنـي أهجـر طيـب الوسـن

إن التقـــــى شـــــــردني   كمـــا تـــرى عـــن وطنـــي

ثم قالت: يا جنيد. تطوف بالبيت أم برب البيت؟

قلت: أطوف بالبيت.

فرفعت رأسها إلى السماء وقالت:

سبحانك ما أعظم شأنك في خلقك

ثم انشأت تقول:

يطـــوف بالأحجــــــار يبـــــغون قربـــــة

إليـــك وهـــم أقســـى قلوبـــاً مـــن الصخـــر

فلـــو صدقـــوا في الـــود غـــابت صفـــاتهم

وقـــامت صفـــات الـــود للحـــق في الذكـــر

قال الجنيد:

فغشي عليّ من قولها، فلمّا أفقت لم أرها.

الحكاية الخامسة

[٥]

لقي ذو النون المصري رجلاً من أهل اليمن.

قال ذو النون له:

رحمك الله[١] ما علامة المحب لله؟

فقال له: حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة. قال:

فأنا أحب أن تصفها لي.

قال: إن المحبين لله شق[٢] لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عزّ جلال الله، فصارت أبدانهم دنياوية، وأرواحهم حجبية، وعقولهم سماوية، تسرح بين صفوف الملائكة، وتشاهد تلك الأمور باليقين، فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حباً له لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار، فشهق الفتى شهقة كانت فيها نفسه.

---

[١] ساقطة من الأصل.

[٢] وردت في الأصل: «سق».

الحكاية السادسة

[٦]

كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة، ثم انقطع عنه زماناً، ثم حضر، وقد اصفر لونه ونحل[١] جسمه، وظهر آثار العبادة عليه والاجتهاد فقال له ذو النون:

يا فتى ما الذي اكسبك خدمة مولاك ولجتهادك من المواهب التي منحك بها ووهبك لك واختصك بها؟

فقال الفتى:

يا أستاذ، وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده، واصطفاه و اعطاه مفاتيح الخزائن، ثم أسر إليه سراً،[٢] أيحسن أن يغشي ذلك السر، ثم انشأ يقول:

من ساوره فأبدى السر مجتهدا

لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

لا يصطفون مذيعاً بعض سرهم

حاشى ودادهم من ذلكم حاشا

---

[١] وردت في الأصل: «نحل».

[٢] وردت في الأصل: «شراً».

الحكاية السابعة

[٧]

كان محي الدين بن عربـي ليلـة يطـوف، فطلـب قلبـه فلـم يجـده، فحاول أن يجده لكن بدون جدوى، فَصعُب عليه الطواف وقلبه غـير حاضر، وداخله خوف، فـنزل يطـوف في الرمـل وحيـداً وهـو يبكـي وينشد شعراً:

جسـم يطـوف وقلـب ليـس بالطائـف

ذات تصـد وذات مالهـا صـارف

هيهـات هيهـات مـا اسـم الـزور يعجبنـي

قلبـي لـه مـن خفايـا فكـره خـائف

ثم وجد لمحبة برقت، فدنا من البيت وهو يقول:

أطوف على طوافي بالمعاني. فهتف هاتف خلف الستر.

فقال:

فغايتك الوصال إلى الغواني

فقال الشيخ:

فكم من طائف ما نال إلا

فقال:

ملاحظة من الحور الحسان

فقال الشيخ:

فكم من طائف ما نال إلاّ

فقال:

عياناً في عيان من عيان

فقال الشيخ:

فأنبئني بحظي منه واصدق

فقال:

كياناً في كيان من كيان.

الحكاية الثامنة

[٨]

كان سحنون يتكلم، وهو جالس في المسجد، عن المحبة، وجاء طير صغير قريباً منه، ثم قرب، فلم يزل يدنو حتى جلس على يده، ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ومات.[(١)]

هذا فعل الحب في الطائر[(٢)] قد أفهمه الله قول هذا الشيخ، فغلب عليه الحال، وحكم عليه سلطان الحب موعظة للحاضرين، وحجة على المدعين.

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) وردت في الأصل: «طار».

الحكاية التاسعة

[٩]

يروى أن صياداً[١] قد صاد حمامة أيكــة، فجـاء سـاق حـر، وهـو ذكرها، فلما نظر إليها، وقد ذبحها الصياد، طار في الجو محلقــاً إلى أن علا،ونحن ننظر إليه حتى كاد يخفى عن أبصارنا، ثم إنه ضم جناحيه، وتكفن بهما، وجعل رأسه مما يلي الأرض ونزلا نزولاً له دويّ إلى أن وقع عليها فمات من حينه، ونحن ننظر إليه.

هذا فعل طائر،[٢] فيا أيها المحب أين دعواك في محبة مولاك؟!

---

[١] وردت في الأصل: «صاداً».

[٢] وردت في الأصل: «طار».

الحكاية العاشرة

[١٠]

يروى أن شخصاً من المحبين دخل على بعض الشيوخ، فتكلم الشيخ له على المحبة، فما زال ذلك الشخص ينحل ويذوب ويسيل عرقاً حتى تحلل جسمه كله، وصار على الحصير بين يدي الشيخ بركة ماء، ذاب كله.

فدخل عليه صاحبه، فلم ير عند الشيخ أحداً.

فقال: أين فلان؟

فقال الشيخ:

هو ذا، وأشار إلى الماء، ووصف حاله.

فهذا تحليل غريب عجيب، حيث لم يزل ينحف حتى عاد ماء، وذلك لقوة تحقيق ذلك المحب، فكان أولاً حياً بماء، فعاد الآن يحيى به كل شيء، لأن الله تعالى قال:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.(١)

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، دار الحكمة، دمشق، تحقيق: موفق فوزي الجبر، سنة١٤١٥هـ-١٩٩٥م. الطبعة الأولى.
- ديوان أبي فراس الحمداني، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت. لبنان. بدون تاريخ.
- ديوان قيس بن الملوح العامري، دار المعرفة. بيروت. لبنان.
- ديوان ابن الرومي، طبعة دار المعرفة، بيروت.لبنان.
- ديوان الضحاك، طبعة بيروت.لبنان
- مفتاح السعادة، لطاش كبري زادة، طبع حيدر أباد الدكن، سنة١٣٢٩هـ.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، طبع بمصر، سنة ١٣١٠.
- الفهرست لابن النديم، طبعة ليبسيك،سنة١٨٧١م.
- أخبار الحكماء، لأبي الحسن القفطي، طبع بمصر،سنة١٣٢٦هـ.

- فوات الوفيات، للصفدي، حيدر أباد الدكن.
- ميزان الأعتدال، شمس الدين الذهبي، طبعة بيروت.لبنان.
- لسان الميزان،لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة،بيروت.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الكتب،بيروت.لبنان.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين. بيروت.لبنان.
- نفع الطبيب، للمقري، طبعة القاهرة.مصر.

فهرس الموضوعات

دار النمير للنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ٥١٧٥ - هاتف: ٢٢٢٦٢٠٧

دار معد للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ١٠٨٧٧ - هاتف: ٦٣٣٤٠١٠